فاحت من أوراقهم أبشع الخيانات والفضائح .

لقد كان درسا بليغا ذلك الذي لقنته المحكمة لأولئك القوم سيذكرونه وسيذكره الجميع . .

٣٠ ينايـــــر ١٩٤٨

ويجعل الله بعد عسر يسرا .

الي هذا الوقت كان وجه القضية مظلما يحيط به الغموض ، ولكننا الآن نضحك ملء أفواهنا وبكل قلوبنا ، لأول مرة في هذا المكان . فقد أنزلت المحكمة قضاءها العادل بالعابثين . . إننا نضحك ونبكي في وقت واحد . . ! يارب إنها هستريا الانتصار بعد ظلام الهزيمة . . لم يعد يهمنا حكم المحكمة أيا كان ، فقد طابت نفوسنا لهذا الحكم الابتدائي .

٢٠ فبراير ١٩٤٨

استخف بنا الفرح فنظمنا أمس لأول مرة ، مهرجانا نفسنا فيه عن نفوسنا كربا كان حبيسا مكتوما ___ وكم يطيب لي أن اروي في هذه الصفحات وصفا لهذا المهرجان " الهستيري " ، لعلي أتمتع بقراءته في الخارج في يوم من الأيام :

كان المهرجان سهرة في قصر هرون الرشيد ، واشتركنا جميعا في وضعه وتمثيله وإخراجه ، والاستمتاع به في آن واحد . . !

وكان توزيع الأدوار كالآتي :

أنور السادات : هرون الرشيد (الخليفة)
حسين توفيق : السياف عبد الله
السيد خميس : القهرمانة وكبيرة القيان
سعيد توفيق : كبير الحجاب
مدحت فخري : شهر زاد الراقصة المغربة
عمر أبو علي : إسحق الموصلي
أحمد وسيم ، محمد كريم ، محجوب : فتيات كورس
الجوهري : بائع اللب

مراد : الخواجة ورئيس وفد الفرنجة

وتبدأ السهر بأن يشير الخليفة الي القهرمانة لتدير العزف والغناء ، فيرتفع صوتها هي وفتيات الكورس في توشيح جميل :
بالذي أسكر من خمر الليمان كل مسجون أسيف وحبا
والذي أجري دموعي عندما أخرج (. . .) والظلم سوا

ويطرب الخليفة فيستعيد النغم مثني وثلاث . . ويطرب الحضور فيندفع في جو كله طرب وحبور . . ثم يهدأ الجو ويشير الخليفة الي القهرمانة لتغني أحدث ألحان الموصلي قائلا في نشوة : " أطربينا يا قهرمانة وابعثي في الجو أشهى الألحان ، ولتغن القيان وليحرق البخور في أرجاء المكان . . "

فتنحني القهرمانة أدبا وخضوعا ، وفي حنان ورقة يرتفع الغناء فيعم الأرجاء :

جانا الخليفة جانـــــا والسعد أهو ويانـــــا
في مجلسه حيانـــــا وبخمرته سقانـــــا

وتأخذ القهرمانة والقيان في ترديد النغم علي مختلف الألحان ، والموصلي يهتز للأوزان ، فيأخذ الطرب بمجامع الخليفة فلا يتمالك من أن يندفع ويرد علي القيان :

أنا جيت لكم والله يا ولاد أنا أحبكم أوي أوي يا ولآد
أنا جيت لكم أنـــــا جيت دا الاتهـــــام لخبيـــط ! !

وترتفع في الجو النشوة ، ويتمايل الخليفة يمنة ويسرة ، ويعم السرور ويعبق البخور . . وهنا يدخل كبير الحجـــــاب مستأذنا في

دخول وفد الفرنجة ليقدم الهدايا ، فيأذن ويدخـــل رئيـــــس الوفد والمجلس كله وقار وسكون ، والخليفة معمم بعمامة الخلافة الشاهية ، ويقدم رئيس الوفد للخليفة هداياه النفيسة من السجاير المعدومة في مملكة الخليفة ، ثم يطلب باسم عاهل الرومان عقد معاهدة تحالف واخاء ، فيقف السياف عبد الله معارضا في هذه المعاهدة ، " ويزوم " الحضور ويزمجرون ويطلبون الي الخليفة ألا يتعاون مع الأجانب الذين لا يحفظون العهود ولا يحترمون الحدود . ويدير الخليفة المناقشة في هدوء ،ولكن يندفع السياف طالبا السماح له بقطع رقبة رئيس وفد الفرنجة . وفي نفس الوقت ترتفع في المكان أصوات تقول " اقلب . . اقلب . . بلدي " فلا يسع الخليفة إلا أن يشير إلي القهرمانة فتندفع هذه هي والقيان في لحن بلدي :

طل علي الحليوه من طجان البيت
خلت الجمر في السما واش دلدله عالحيط
يا يا يا يا بوي يا بوي . . .

ثم يعود الوقار الي المجلس ثانية ويهدئ الخليفة من روع القوم ويؤكد أنة لا يتعاون مع الأجانب إلا ندا لند علي أساس احترام

حدود الخلافة . . ويهدأ السياف ، وينصرف رئيس وفد الرومان مودعا بالشتائم والسباب .

ثم يطلب الخليفة الي القهرمانة أحدث مواويل الموصلي التي تبعث في النفس الصبر والسلوان ، فتنشد مع القيان :

نامت عيونك وعين الله ما نامت
ما في ولا شده علي مخلوقها دامت
وان دامت الشدة ما يدوم صاحبها
راحت ليالي الهنا يا ليتها دامت

هنا يطرب الخليفة ويستزيد ، وتنشد القيان وتعيد ، وتندفع الراقصة المغربية شهر زاد في أحدث الرقصات علي نغمات الموال ، ويصيح الخليفة من فرط النشوة :

هدهدونـــــي هدهدونـــــي
أطربونـــــي أطربونـــــي

ويردد الجميع كلمات الخليفة ، ويضج المكان بمختلف الألحان ، وتعيد القيان في نشوة وحنان . . وينتهز بياع اللب هذه الفرصة فينادي علي بضاعته بصوت نشاز ، فيأمر الخليفة بإخراجه من المكان . ويحل وقت العودة إلي الزنزانات فينتهي الحفل بين رنين

الضحكات ، وباسم الثغور ، وبالغ البهجة والحبور . . وغضب السجانين وصك الأقفال . . !

٢٠ مارس ١٩٤٨

يسيطر المرح علي الجو برغم التأجيلات المتوالية . . عاودنا نشاطنا السابق : فالقراءة علي أشدها ، والكتب تنهمر علينا من الخارج ، وعاد الطلبة من المتهمين يفكرون في مدارسهم بعد أن أهملوا ذلك سنتين أو أكثر ، وكل يرسم لنفسه الطريق الذي سيسلكه عقب خروجه . . الروح المعنوية في أقصي درجات ارتفاعها !

انه الأمل بعد طول انتظار . . اللهم حقق لنا الآمال . .

٣٠ مارس ١٩٤٨

حدث اليوم أن كنـــا في طابور الصباح فقدم إلينا المدعو عبد الله زيدان مساعد العشماوي ، وجعل يحدثنا عن عمليات الشنق التي باشرها في الأربع عشرة مديرية علي حد قوله ، ثم داعبنا بأن أخذ يعاين رقبة كل منا ، ويصف له الحبل الذي يناسبه ، والمدة التي يستغرقها النبض . . وكان حديثه مدار دعابتنا طول اليوم !

١١ أبريل ١٩٤٨

ترافعت النيابة أمس واليوم وقد استهل الأستاذ أنور حبيب مرافعته أمس استهلالا خالدا هز مشاعرنا وأبهج قلوبنا ونحن جلوس في قفص الاتهام . . واليوم أتي النائب العمومي " لينسخ " ما قاله الأستاذ أنور ، ولكن هيهات . . لقد عاب علي تشبيهات وردت في حق الخليفة علي لسان الأستاذ أنور ، ونسي أننـــــا شتمنا أكثر من مرة من منبر برلمان الخليفة الموقرة ، ونسي سنة ١٨٨٢ ، ونسي فظائع المستعمرين ، ونسي أرواح الشهداء ألي اليوم ! !

٢٤ أبريل ١٩٤٨

بدأ الدفاع ، وهو آخر مراحل هذا الجيل من السجن والاتهام . .

أبريل ١٩٤٨

لأول مرة منذ أكثر من سنتين سمحت النيابة للمرضي منا الذين لا يجدون علاجا في السجن بالخروج تحت الحراسة للعلاج عند الأطباء الخصوصيين علي نفقتهم الخاصة . . وأول من سمح له بذلك هو مدحت فخري . وقد عاد اليوم يحدثنا حديثا عجبا . .

لقد جلس علي كراسي من الجلد . . وتناول قهوة باللبن عند الدكتور ! وفي طريقه الي العيادة رأي ثكنات قصر النيل بعد أن آلت إلى أصحابها ، ورأي السماء غير مخططة بقضبان الشبابيك ، وقال إنها واسعة والنظر إليها يبهج النفس . . ! ورأي النيل . . ورأي ورأي ، مما أعاد إلى أذهاننا بعد أن كدنا ننسي معالم الحياة فيها . . !

يونيو ١٩٤٨

فجأة . . ودون أن يعلم أحد ، هرب حسين توفيق ! ! لقد وصلنا الخبر أول ما وصل ، علي وجه السجانين والضباط ، ثم انهالت علينا القيود والتشديدات ، وعدنا الي سالف العصر والأوان . . !

لقد كان حسين شرا في وجوده ، وشرا في هروبه ! ! ففي وجوده كان خير من يثير عنيف المناقشات " وزعبرة " الجو بالتكهنات والخرافات . . ثم هرب فكان سببا فيما نزل بنا من كبت وارهاق اللهم سامحه والطف به وبنا .

٧ يوليو ١٩٤٨

انتهي اليوم الدفاع ، وتأجلت القضية الي جلسة ٢٤ يوليو للنطق بالحكم .

٨ يوليو ١٩٤٨

بدأ اليوم رمضان . .
ولرمضان في النفس رهبة ونشوة . فالرهبة وليدة التكريم الذي خص الله به هذا الشهر دون بقية الشهور ، وهي وليدة المجهود الذي يبذله الإنسان في مغالبة نفسه للتحكم في شهواته .

وأما النشوة فهي وليدة الانتصار ، حين يفطر الإنسان في نهاية اليوم ويشعر أنة تغلب طيلة اليوم علي شهواته ، وما تعرض له من مغريات .

والمزيج من هذه النشوة وتلك الرهبة كفيل بأن يشغل علي الإنسان فكره وجنانه ، وحسه ووجدانه . بحيث لا يبقي لغير هذين العاملين محل في النفس .

ولكن . .

حل علينا رمضان برهبته ونشوته ، والنفس مشغولة كأشد ما يكون الانشغال والقلب يتلهف . . والانفعالات تعتمل في عنف وهدير . . ولا عجب فنحن اليوم علي أبواب المصير .

لا أستطيع أن أصور ما سيكون عليه الحال خلال هذا

التأجيل للحكم ، ولكنني جزع من طول هذه المدة . . جزع من فرط ما أخشى من الغيب .

ولكن . . لم الجزع . . ولم الخوف يا نفس ؟ !

ألم يقل سبحانه وتعالي : " قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا " . . أليست حياتي هذه من صنع الله وتيسيره ، وهو الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما .

يا نفس اثبتي ولا تضعفك الدنيا ، واعلمي أن الحكم لله ، والأمر لله . . واحتفظي بالقوة والعزة تعودي إلى ربك راضية مرضية وتدخلي جنته .